

السؤال الفلسفي في شعر فاتح علاق "التجليات والأبعاد" The philosophical question in Fateh ALLAG's poetry "Aspects and dimensions"

د. محمد رغميت*

تاريخ النشر: 2021/12/20	تاريخ القبول: 2021/05/05	تاريخ الإرسال: 2021/01/15
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن تجليات السؤال الفلسفي وأبعاده في شعر فاتح علاق، عبر مجموعاته الشعرية المختلفة، والتي عكست رؤيته للعالم والحياة والواقع ومصير الإنسان، حيث استطاع أن يعكس من خلال هذه الأسئلة بعض أحداث الواقع المأساوي، الذي كان حافزا له على الكتابة. ولعل أبرز الملامح الفلسفية التي صبغت شعره تكمن في: سؤال الحقيقة، والنزعة التأملية للوجود، وماهية الشعر، وكذلك نظرتة الفلسفية إلى الموت، الذي يعد هاجسا شغل فكر الشاعر، وبخاصة مجموعته الشعرية "آيات من كتاب السهو"، والتي سايرت أحداث العشرية السوداء في الجزائر وما ترتب عنها من صدمات نفسية، أذكت تجربته الشعرية والإبداعية، وأبانت عن رؤيته الخاصة التي تسعى للوصول إلى حقائق الأشياء؟

الكلمات المفتاحية: السؤال، البعد الفلسفي، فاتح علاق، الشعر الجزائري، سؤال الموت.

Abstract :

The aim of this paper is to reveal the philosophical question and its dimensions in Fateh Allag's poetry through his different poetic collections which reflect his view to the world, life, reality and human destiny. He was able to reflect some tragic real events which were considered as a source for writing his poems. The most important philosophical questions were about the truth, the tendency of the contemplative existence, poetry essence, truth question and his philosophical view to death. especially in his "‘proofs from the book of oblivion' (Ayat min kitab al Sahw) collection. These events

المؤلف المرسل: د. محمد رغميت mhamedregmit@gmail.com

* جامعة يحي فارس بالمدينة: mhamedregmit@gmail.com

influenced the poet and fed his poetic experience which aimed to find truth.
Keywords: question, philosophical dimention, Fateh Allag, Algerian poetry, death question.

*** **

1. مقدمة:

انفتحت التجربة الشعرية الجزائرية المعاصرة على عوالم جديدة. وفضاءات حديثة، كان من نتائجها تحول الشعر من مجال الموهبة والصنعة إلى فضاء المعرفة والرؤيا، ومن التعبير عن الواقع إلى استشراف المستقبل، ومن مجال الوصف والمدح والتغني، إلى الكشف والتغيير والرفض. ومن ثمة اتجهت التجربة الشعرية الجزائرية نحو التجريب، وأصبح الشعر رؤيا -بالدرجة الأولى- يطرح أسئلته، ويقدم مقترحاته، ويستشرف آفاق المستقبل، بل ويعمل على صياغة عالم جديد متجاوزا الواقع بآلامه ومشكلاته.

ونتيجة لذلك أصبحت فعالية القصيدة المعاصرة تكمن في الرؤيا، التي تطرحها، والآفاق التي تفتحها أمام قارئها؛ ولذلك يقول أدونيس: " فالشاعر الحقيقي لا يعنى بموضوع القصيدة، وإنما يعنى بحضورها أمامه كشكل شعري، أعني صيغة الرؤيا... وعلى القارئ الجديد أن يتوقف عن طرح السؤال القديم: ما معنى هذه القصيدة، وما موضوعها؟ لكي يسأل السؤال الجديد: ماذا تطرح علي هذه القصيدة من الأسئلة، ماذا تفتح أمامي من آفاق؟"¹.

لقد غدا الشعر الجزائري -وخاصة الحداثي منه- ابتكارا وإبداعا، إحساسا ورؤيا، وترجمة للذات في علاقتها بالأشياء والعالم. وأصبح يواجه الأسئلة الكبرى مثل الحياة والموت، وقضية الوجود، وحقيقة الكون ومصير الإنسان شأنه في ذلك شأن الفلسفة، ومن ثم اقترب الشعر المعاصر من الفلسفة، وبدأ يخوض فيما تخوض، ينتقي موضوعاتها، ويستخدم أدواتها من الفكر والتحليل، والسؤال والتأمل وغيرها.

ويعد الشاعر فاتح علاق من الشعراء الجزائريين المعاصرين، الذين خاضوا التجربة الحداثية؛ من خلال مجموعاته الشعرية، التي عكست تجربته الشعرية؛ حيث اتسمت بالتجريب، والرؤيوية، والتجديد على مستوى التشكيل الفني؛ وذلك باستخدامه لأساليب

وطرق تعبيرية جديدة، وكذلك على مستوى الرؤية الشعرية وذلك عن طريق اقتحامه عوالم التصوف، والفضاء الأسطوري، والاستفادة من الفكري والفلسفي في إنتاجه الشعري.

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الأسئلة الفلسفية التي يطرحها الشاعر في قصائده، وكيف استطاع أن يعبر من خلالها عن تجربته الشعرية، وفي تصويره لعلاقته مع العالم والواقع من حوله، فما هي طبيعة السؤال الفلسفي عند علاق، وما أشكاله، وهل نجح في توظيف السؤال - كظاهرة أسلوبية - لإبراز رؤيته الشعرية؟

وقد اعتمدت الدراسة على الوصف والتحليل للوقوف على ظاهرة السؤال الفلسفي في شعر فاتح علاق، كما انطلقت من فرضية مفادها: تنوع أشكال السؤال الفلسفي في نصوص الشاعر، ومقدرته على توظيفه في إبراز رؤيته الشعرية، وكذا قدرته على الاستفادة منه على مستوى التشكيل الشعري، كأداة ووسيلة أسلوبية.

2. العلاقة بين الشعر والفلسفة:

مع ميلاد الشعر الحدائي في حدود منتصف القرن الماضي، اكتسب الشعر مفهوما وطابعا جديدا؛ حيث تحرر من القيود والصنعة، وأصبح يقرب من الفكر وميدان الفلسفة؛ من خلال التركيز أكثر على الفكرة والمحتوى، وقربه من خلجات الإنسان المعاصر، في معاناته لمشكلات الحياة، وأضفى الشعر يحمل في طياته الفكر والمعرفة والاستشراف، عن طريق الرؤيا التي صارت عماد الشعر الحدائي- كما سبق وأن أشرنا- ذلك أن "الرؤيا الشعرية هي نوع من المعرفة، التي تتخطى نطاق العلم المحدود بالظاهر المحسوس، وتنافس الفلسفة وتتغلب عليها في مجال الكشف والخلق والبناء"².

ومما لا شك فيه أن ثمة علاقة وطيدة بين الشعر والفلسفة، وهذا ما أكده بعض الفلاسفة، وكثير من النقاد والشعراء الحدائيين، الذين جعلوا من الشعر والفلسفة وجهين لعملة واحدة، تجمعهما غاية واحدة، وهي الإفصاح عن الحقائق ومعالجة قضايا الإنسان والإجابة عن أسئلته ومشكلاته.

لقد رأى شعراء الحداثة ونقادها أن الشعر صنو الفلسفة، ولا يمكن أن تكون الفلسفة في وادٍ والشعر في وادٍ آخر. ومن جملة هؤلاء، الشاعر عبد الوهاب البياتي الذي يرى أن "الشعر هو الوجه الثاني للفلسفة. وكل شعر يحاول أن يتنكر لهذا الوجه الثاني يسقط في التفاهة واللامعنى وفي العدمية اللغوية، أي اللغة التي لا تقول شيئاً على الإطلاق"³. كما يعتقد صلاح عبد الصبور هو الآخر أيضاً أنه لا بد أن يكون للشاعر "وجهة نظر عامة في مشكلات الكون الكبرى، أو بتعبير عصري أن يكون للشاعر فلسفة، ولا نعني بالفلسفة هنا أن يكون الشاعر فيلسوفاً أن قارئ فلسفة، بل أن يكون له تصور خاص للكون تصنعه ثقافته وقراءاته وتجاربته ووراثته ومزاجه"⁽⁴⁾.

أما رؤية الفلاسفة للعلاقة بينهما: فنجد الفيلسوف مارتن هيدغر* الذي يقرن بين الفلسفة والشعر، ويرى أن هذا الأخير (الشعر) هو حيز: "تمارس اللغة فيه قول الحقيقة، حقيقة الوجود، وهو في الوقت ذاته مجال للتفكير فيما عجزت عنه الفلسفة عن التفكير فيه منذ اللحظة الأفلاطونية وإذا كان ميلاد الفلسفة في بدئها الأول قد تحقق في القول الشعري فلن يكون من الممكن إعادة بعثها إلا من خلال الشعر"⁵.

إن نظرة الفيلسوف هيدغر للعلاقة بين الشعر والفلسفة جعلته يسلط الضوء على ماهية الشعر ويتخذ من دواوين بعض الشعراء مادة لدراساتها والبحث فيها، وهذا ما جعله يصرح بأن مذهبه العقلي "ليس سوى معادل فكري لما عبر عنه هولدرلين** في شعره"⁶.

لقد اتخذ الشعر الحداثي -في كثير من الأحيان- من الموضوعات الفلسفية مادة له، مستعينا بالرؤيا كوسيلة للاستكشاف والحدس والمعرفة؛ فالرؤيا أداة الشاعر المعاصر لتخطي عالم الواقع، إلى العالم اللامرئي واللامحدود والفسيح، وتكون الرؤية حينئذ سفينة، يلج بها الشاعر عالم الخيال الواسع، هذه الرؤيا منبعها "القلب لا العقل، بل تشع في غياب العقل، وتتسع في الحلم والغيبوبة، وبها يرى الرائي مالا يمكن إدراكه في حالة حضور العقل والحواس"⁷.

ومن ثمة اعتبرت التجربة الشعرية تجربة تأملية، وحالة نفسية، يصبح فيها الشاعر في حالة من التلقي يشبه الإلهام، حيث إنه يملئ شعرا في لحظة من الغيبوبة وتقلص الوعي، هذه الحالة "تفقد الشاعر القدرة على الوعي بها وعيا كاملا مفصلا، وهذا ما يجعل الشاعر عاجزا عن تقديم خريطة معاناته بوضوح"⁸، وإزاء هذه الحالة النفسية يتراجع المنطق والعقل "أمام الإلهام والكشف، وتحل محل المعنى المحدد الواضح الحالة الشعورية والروحية، وهي بطبيعتها قفزة خارج المنطق وحدوده"⁹

إلا أن الرؤية الشعرية تختلف عن الرؤية الفلسفية في بعض الجوانب؛ فالرؤيا الشعرية ذاتية تعتمد الحدس والخيال والعاطفة، أما الرؤيا الفلسفية فتقوم على العقل والمنطق. ومن ثم تختلف الحقيقة الشعرية عن الحقيقة الفلسفية في المنطلقات والوسائل والنتائج. والشعر على الرغم من هذا الاختلاف يحمل هم الفلسفة من حيث أنه بحث عن الحقيقة وتساؤل مستمر. فهو موقف ذاتي من العالم لا يخلو من حس الفلسفة وحس التفكير. فإذا كان الفيلسوف يحس بفكره فالشاعر يفكر بحسه¹⁰. كذلك توجد فروق بين الشعر والفلسفة على مستوى الآلية الموظفة للوصول إلى الغاية، من حيث إن "الفيلسوف ينطلق من العقل، ويخاطب عقول الناس بلغة محددة بغية إقناعهم بفكرة أو نظرية معينة. أما الثاني (الشعر) فينطلق من العقل والخيال والعاطفة والحواس ويخاطب. وجدان الناس"¹¹

3. ماهية الشعر عند فاتح علاق*:

لقد شغل الشاعر فاتح علاق -وبوصفه ناقدا أيضا- بمفهوم الشعر وطبيعته منذ بداياته الاشعرية في نهايات السبعينيات من القرن الماضي، حيث بدأت تجربته مع الشعر تخطو أولى خطواتها ومنذ ذلك الحين، وهو يتقلب في أودية الشعر ويقلب نظره في ماهية الشعر حيث خلص في النهاية إلى صعوبة تحديد مفهوم دقيق الشعر، وكان قد ألف كتابا نقديا تعرض فيه لمفهوم الشعر الحر.

ومن المفيد بداية الإشارة إلى أن النظرة لمفهوم الشعر قد تغيرت كثيرا وبخاصة عند شعراء ونقاد الحداثة فلم يعد الشعر في الشعرية المعاصرة "كلاما عاديا، يعيد ما هو جاهز

في الواقع بلغة جاهزة، ولكنه يكشف عما وراء الواقع، ويعيد تشكيله من خلال رؤية معينة وانفعال خاص، وتجربة متميزة، وبأدوات تستعمل استعمالاً مخصصاً. إن الشعر ابداع، وخلق لعالم جديد مغاير لما هو مألوف.¹²

لقد غدا مصطلح الرؤيا في الشعرية المعاصرة بؤرة مركزية في تحديد ماهية الشعر، فقد مثل بالجهاز الذي يحول الأفكار إلى شعر، ويحيل المعاني قصائد عذبة. والرؤيا حينئذ تكون من صنع الشاعر نفسه لا من غيره، وهذا ما يؤكد فاتح علاق بقوله-في مقدمة ديوانه-عن إنتاج الشعر: "فالذات الشاعرة هي النار التي تصهر القيم الجمالية، مع القيم غير الجمالية، وتصب الفكر والعاطفة، والرؤيا، في أتون اللغة، والصورة والإيقاع فيتكون الشهد. إنه-الشعر-ينبع من بين أشجار الذات وصخورها، يتدفق من شلال الروح"¹³

الشعر عند علاق ليس مجرد كلام موزون ومقفى بل الشعر عنده "صياغة جديدة لعالم يتجدد فينا، وكل ما في الوجود مادة خام ينتقي منها الشعر ما يشاء كما يشاء ليعيد خلقها في بهائه؛ فإذا بالأشياء تولد من جديد بعد أن كانت في مرحلة السبات واللامعنى والفوضى...فالشعر رؤية لهذا العالم ورؤيا تعيد تشكيل مواده وأشياءه لينهض من نومه ويعانق نهاره"¹⁴، ولما كان الشعر كذلك، كان رحلة وبحثاً دائماً في أغوار هذا العالم، وسبرا لأسراره الدفينة يقول الشاعر في هذا المعنى:

- هو العالم الآن ينشأ بين الضلوع وبين الندى

- فاستحي بقلبي لأعرف دربي

- وهزي إليك بجذع المعاني

- تساقط عليك لآلئ روعي البعيدة¹⁵

يشير الشاعر -في هذا المقطع- إلى ماهية الشعر ووظيفته بطريقة فنية شعرية؛ فالشعر عنده كشف وتجاوز للمحسوس واختراق عوالم الغيب. هو مفتاح ينفذ من خلاله الشاعر

إلى الكون، وهذا ما يقره في مقدمة ديوانه "ما في الجبة غير البحر" قائلا: "الشعر لا يقول لك ما تعرفه، بل يقول لك ما تجهله، ويسوقك إلى جزر بعيدة لم تطأها أقدام البشر. الشعر سفر دائم إلى فضاءات جديدة، وبداية مستمرة للبحث. نهايات تفتتح عن بدايات جديدة"¹⁶. ولذلك يقول في قصيدة "سؤال":

- ويسألك الذاهبون إلى الشعر ماذا ترى؟

- قل أرى أفقا يتمدد

- أودية تتجدد

- أمشجة تتخلق في رحم الغيب

- من شجر تتوقد

- من عبق تنسج الروح أوردة

- من ندى يصعد الحب

- يصاعد الكلم الطيب¹⁷

لقد صدر هذا المقطع بسؤال فلسفي عن طبيعة الشعر وغايته، ليردفه بمجموعة من الأجوبة عن السؤال، مما يدل على أن طبيعة وماهية الشعر ليست بالهينة المحددة، وإنما هي معقدة ومشابكة وعصية عن الإمساك بها وتحديد مفهومها، ذلك أن الشعر أضحي عملية معقدة في تكوينه وفي وصف لحظة ولادته، ولذلك شبه كثير من الشعراء الحدائين هذه اللحظة بالولادة القيصرية.

4.تمظهرات السؤال الفلسفي عند علاق:

لقد ارتبط السؤال الفلسفي في شعر فاتح علاق بالموضوعات التي كان الشاعر يعبر عنها مما كان يعيشه في واقعه وآماله وآلامه، ولم يكن معزولا عنها إذ أنه ليس مجرد تساؤل فحسب وإنما هي أسئلة كان يستعين بها في عرض رؤيته الشعرية؛ ولذلك تنوعت الأسئلة الفلسفية عنده، فكان سؤال البحث عن الذات والإحساس بالضيق، مما ولد لديه سؤالا آخر ارتبط بالبحث عن الحقيقة، وكذا البحث عن الوطن الآمن، وثمة سؤال آخر فرض نفسه على الشاعر وهو سؤال اللغة الشعرية وتمنعها الرهيب أثناء الهزات الشعورية. كما واجه سؤال الموت ومصير الإنسان نتيجة الواقع والأزمات النفسية التي تعرض لها الشاعر.

1.4 سؤال الضيق والبحث عن الذات.

إن الواقع المأساوي الذي كان يعيشه الشاعر، دفعه إلى البحث عن منافذ ينفس من همومه من خلالها، ويبت فيها شكواه، ولذلك راح يطلب فضاء أوسع ليتخلص من الضيق الذي كان يحس به، وفي كل مرة يحاول ولكن دون جدوى، ليجد نفسه مكبلا ومشدودا إلى الأرض، ولذلك نراه يقول في قصيدة "الإسراء"

- من لي بأرحب من مكاني

- كي أمدد فيه أنفاسي مليا؟

- كي أموت

- الكون جمجمتي كيف التخلّص من إساري

- كي أرتب هذه الأشياء ثانية

- أمزق هذه الأشياء ثلاثة بأظفاري

- من لي بأوسع من زماني¹⁸

الملاحظ في هذا المقطع هو أن الشاعر استعان بالسؤال الفلسفي، حيث افتتح أسطره بأداة تساؤل وهي (من) لتدل على الطلب، طلب الاتساع في المكان والزمان، والتخلص من هذا الضيق الذي أحكم قبضته على الشاعر وسد منافذه كلها، ولم يحدد المخاطب من هذا الطلب وإنما جعله مفتوحاً وعماماً ليشير بذلك إلى استحالة الإجابة من باب التمني، ولذلك لجأ إلى الموت كحل أخير للتخلص من آلام الواقع.

2.4 سؤال الميتافيزيقا والبحث عن الحقيقة:

المتأمل لشعر فاتح علاق يلاحظ فيه السعي إلى الوصول إلى الحقيقة، واكتشاف المجهول. إن كل كتابة عند علاق "فتح لمساحة جديدة في هذا الغامض، وأسر لما يستعصي على المثلث والمحيي من العالم الهارب"¹⁹. وكل قصيدة عنده هي: "طائر يغزو عالم المجهولات، أو زورق يستبق الماء ليعود إلى الأول، كل كتابة شعرية رحلة نحو سماء أخصب وأرفع"²⁰.

الشعر عند علاق أداة سحرية يمارس بها الغوص في أعماق الكون، ومن هنا يصرح الشاعر بملء فيه أن الشعر أداة للكشف والمعرفة الماورائية، بقوله: "وأما الشعر فرحلة على طريق الحق، وكشف لآيات الله في النفس، من خلال نوافذ يفتحها في أعماقنا"²¹، ولعل الشاعر يتفق مع هذه النظرة الصوفية عندما يقول "الشعر يرفعنا إلى حقيقة الإنسان فنرى الله في كل شيء"²² بل إن الشاعر يصرح بأنه يبحث عن الحقيقة والطريقة مثل القوم (الصوفية) يقول في قصيدة "الإسراء":

- من أين أبتدر الطريقة والحقيقة

- عبر ملحة السراب؟²³

إن فلسفة الشاعر إزاء الشعر تتفق وفلسفة الصوفية تجاهه، من حيث توفقه نحو العالم الروحاني والسمو بالنفس إلى المثل العليا. ولذلك فالشعر عند الصوفية سعي إلى تحقيق مقاصد المقامات والأحوال، وهو بذلك رؤيا خاصة للعالم والكون ويحمل في طياته فلسفة وفكر الصوفية، وكذلك نظرة الشاعر إلى الشعر حيث يعتقد أن الشعر "رؤية

خاصة للعالم، وإحساس خاص بالكون وإدراك متميز له قبل أن يكون كلاماً²⁴. ولهذا السبب-المذكور آنفا- نجد الشاعر دائم التطلع إلى عوالم الكون، يريد أن يسبر أغوارها، ويخرج مكنوناتها، بحثاً عن الحقيقة، وتطلعا إلى الحرية، يقول في قصيدة "سؤال":

- ها أنا مَوغلٌ في البحار

- مَوغلٌ في النجوم التي تتناسل في القلب

- أقرعُ باب السؤال

- أنتظر الفتح من خالقي²⁵.

لقد جعل الشاعر من السؤال وسيلة في التأمل العميق للكون والعالم الفسيح للوصول إلى غاية السمو والفتح الرباني شأنه في ذلك شأن الصوفي الغارق في عبادته وتفكره في عالم الكون المنظور وهو يرجو الوصول إلى القرب والوصل بخالقه وهي محطة أخرى في تأثر الشاعر بالتجربة الصوفية، والاستفادة منها في إثراء رؤيته الشعرية.

3.4 سؤال اللغة:

إن المتأمل لشعر فاتح علاق يلمس الطابع الفلسفي الذي اكتسبته اللغة، حيث ترتبط اللغة عند الشاعر بالوجود، وترتبط بالذات، والكلمة هي صانعة الحياة والموت، لا معنى لهذه الأشياء خارج الكلمة، لا طعم ولا لون ولا رائحة، هي الحياة التي تبث في هذه الأشياء وتنفض من أكفانها وتعلن ميلادها، هي دم الأشياء وروحها ونكهتها لا ولولاها لبقيت حطاما وغثاء، ولولاها لما أبصرت ذاتها ولا وعت وجودها ولا أدركت حقيقتها²⁶

وإن مما تجدر الإشارة إليه أن نظرة الشاعر إلى اللغة والكلام، هي نظرة فلسفية، تشربها الشاعر جراء تأثره ببعض الأطروحات الفلسفية إزاء اللغة؛ من خلال اطلاعاته، فعمل الشاعر على بلورة الفكرة في شعره، ويُعد الفيلسوف الألماني مارتين هيدغر أبرز من أشار إلى

هذه الفلسفة، حيث يربط اللغة بالوجود* باعتبارها" قوة إظهارية قوة دافعة لكل انبثاق وانفتاح... والتفكير في الوجود طريقة أصلية للشعر أو هو الشعر الأصلي الذي يسبق الشعر وسائر أنواع الفنون ما دامت كل الفنون تتحرك في إطار لغة الوجود".²⁷

فاللغة ليست مجرد أداة تواصل وتفاعل فحسب عند هيدغر، بل هي أعمق من ذلك وأوسع وأشمل، ولا تتبدى وظيفتها هذه إلا من خلال الشعر الذي يعيد الحياة إلى اللغة عندما تستهلك وتصبح مجرد لغة يومية مبتذلة ودارجة. الشعر هو الذي يحي اللغة، وهو الذي يطورها، وهو الذي يعرف الإنسان بوجوده من خلالها، الشعر هو الذي يقود الشاعر إلى عالم اللغة ويكشفها له باعتبارها أساس لقول الوجود؛ اللغة هي التي تكشف عن الوجود".²⁸

إن هذه العلاقة بين الشعر واللغة التي يوضحها هيدغر يعبر عنها الشاعر في مقدمة ديوانه " الجرح والكلمات" بقوله: " في الشعر يولد كل شيء من جديد الأشياء والكلمات والمعاني والأفكار المختلفة...من الشعر تبدأ الأشياء في الحياة ولا حياة خارج الشعر".²⁹ هكذا يغدو الشعر عالما يمج بالحركة، وتصبح الكلمات إكسيرا يعطي للأشياء حياتها ومعناها، ولذلك ترحل الأشياء إلى الكلمات لتأخذ شكلها ومضمونها، "تهاجر نحوها، لتبحث عن هويتها الأولى، وترحل إلى اللغة الأولى إلى الكلمة، كأن كل شيء يريد أن يكون لغة".³⁰ يقول في هذا الصدد شعرا:-

— يترك الناس في السفح أشياءهم

— يتركون العظام

— ويصاعدون نحو اللغة العالية

— كل شيء يودع أحلامه في اتجاه الكلام³¹

إن الشاعر ينظر إلى اللغة الشعرية على أنها لغة سحرية تدهمه، فتجعله يقول شعرا في حالة من السكر واللاوعي تهز كيانه، وتسيل من فمه، جارية معها سيول الدهول والدهشة. يقول الشاعر في قصيدة "سؤال":

- ويسألني الناس عن لغتي

- لغتي قنبلة

- تتفجر في قلب دالية

- والدوالي هاربة

- وأنا هارب من دمي

- أبذر الأسئلة³²

إن طاقة السؤال الفلسفي في هذا المقطع هي من مكن للشاعر أن يصف لغته الشعرية، وهذا ما حدا بالشاعر إلى هجر اللغة العادية والتطلع نحو اللغة الشعرية التي يستطيع أن يعبر بها عن خلجات ذاته. وحينها يستطيع الشعر-بفضل هذه اللغة-أن "يغرب الأشياء ويبعدها عن أصلها، ليفجر فيها معاني وأفكارا بواسطة اللغة. إنها تفقد شئنيتها وتكتسب دلالات جديدة في سياقها الفني. لقد تبدلت الأشياء في الشعر وأصبحت الأرض غير الأرض والسماء"³³

4.4 سؤال الموت:

سؤال الموت من الأسئلة التي اجتلبها الشعر المعاصر من ساحة الفلسفة، حيث أضحي الموت يشكل تيمة تدور عليها قصائد كثيرة، وذلك أن الشاعر أصبح يعبر عن ذاته وعن علاقته بما يحيط بواقعه، ولا يخفى أن الواقع المعاصر ارتبط بالحروب والفتن وكثرة المآسي والقتل كما حدث في الجزائر في التسعينيات من القرن الماضي، ولهذا شكل الموت

هاجسا عند كثير من الشعراء ومن هؤلاء الشاعر فاتح علاق، حيث اتخذ الموت-أشكالا مختلفة؛ فتارة يرتبط الموت عنده بالحياة الحقيقية، وتارة بالغرابة والضيق، وتارة بالخلاص، وتارة بالموت الحقيقي الذي عاينه الشاعر بنفسه أيام العشرية السوداء.

يرتبط الموت -أحيانا-عند الشاعر بالحياة حينما يحس بعبثية الحياة، أو يتملكه الضيق والقلق، فيلجأ إلى طلب الموت للخلاص من ثقل العيش في ظل الاغتراب الحاد، ولقد عبر عن هذا المعنى بقوله:

- سمائي هذه حجر

- وأرضي هذه تابوت

- من لي بأرحب من مكاني

- كي أمدد فيه أنفاسي مليا؟

- كي أموت³⁴

إن الشعور بضيق المكان والزمان دفعا الشاعر إلى تلمس منافذ ينفس بها عن غربته، وقد عمد إلى تمثيل هذا الكون بالجسد الذي يضمه؛ ولذلك صور السماء بالحجر والأرض بالتابوت(القبر)، وكل من الحجر والتابوت يرمزان إلى الموت؛ إذ لا حياة بهما، وراح يطلب أوسع مكان وأوسع زمان، وهو يرى أن ذلك لا يتحقق إلا بالموت وثمة تنفصل روحه عن جسده وتحرر من ربة الجسد ليس الجسد البشري فقط، وإنما الجسد الكوني

ومن الملاحظ أيضا أن ثمة نزعة صوفية في شعره من خلال بعض الرؤى التي تشير إلى تأثره بالتصوف، ومن جملة ذلك رؤيته إلى طبيعة الموت والنظرة إليها؛ ويذكر أن الصوفية كانوا أول من أشار إلى هذه الفلسفة. يقول جلال الدين الصوفي معبرا عن هذا المعنى: " بالموت تتخلص النفس من فرديتها، وتصبح جمعا. وبالحب تخرج الذات نحو الآخر. الفردية

حاجز بين الأنا والآخر. الظلم إلى الامتلاء، إلى الوجود المليء يدفع الصوفي العاشق نحو الموت الذي يتوجب عليه أن يعبره، لكي ينتقل من الجزئي إلى الكلي، لكي ينتقل إلى الحياة³⁵.

ومن ذلك ندرك أن نظرة التصوف إلى الموت تختلف عما كان سائدا من قبل في الشعر العربي عامة، حيث "لم يعد الموت نهاية، وإنما صار باب الحياة الحقيقية"³⁶. ولعل هذا المعنى الذي عبر عنه الحلاج* في مأساته التي صلب فيها، فكان يهتف لجلاديه بجمل ذكر فيها الموت وأنها مطلوبة لأن الموت حياة، والحياة موت، يقول الحلاج:

- اقتلونني يا ثقاتي *** إن قتلي حياتي

- ومماتي في حياتي *** وحياتي في مماتي³⁷

ويبدو أن الشاعر قد ضاقت به الأرض بما رحبت جراء هذه الموت الذي كان يحس به في كل لحظه ويترقبه وترقب الموت أشد من الموت- فلم يجد إزاء هذا الحصار الخانق الذي أحاط به من جهات الأرض الأربع إلا أن ينادي الموت كي يستريح من هذه العذابات المتكررة حيث إن الصبر "لم يعد يضاهي حجم العذاب، كما أن عذابات الشاعر تنطوي على الكثير من التشاؤم والحزن".³⁸ يقول الشاعر في قصيدة "صحراء"

- إني أتنفس من ظفري

- في هذا الليل

- فليأت السيل

- فليأت السيل³⁹

لقد عبر الشاعر عن الموت بدلالته الحقيقية- كما كان يعايشه على أرض الواقع في تلك الفترة- في عدة قصائد من دواوينه وخاصة ديوان (آيات من كتاب السهو) الذي مثل

تصعبدا لهماوم الشاعر ومآسيه في مرحلة التسعينيات من القرن الماضي حيث حدثت الفتنة، واستعر القتل، وخيم الحزن، والألم على النفوس، يقول الشاعر في قصيدة (القلب يرسم دورته):

- مَيِّتَ أَنْتَ فَأَخْتَرُ مَكَانَكَ بَيْنَ الْخَشَبِ!!

- جُثَّةٌ لِلطَّرِيقِ هُنَا

- جُثَّةٌ لِلشَّعَابِ هُنَاكَ

- جُثَّةٌ لِلشَّجَرِ

- جُثَّةٌ لِلنَّهْرِ!!⁴⁰

لقد صور الشاعر الموت من خلال هذه القصيدة تصويراً دقيقاً، فجعله يملأ الطرق والأرض والأمكنة، وقد استخدم الشاعر أسلوب التكرار لكلمة "جثة" حيث كررها أكثر من 10 مرات في قصيدة القلب يرسم دورته، وذلك للدلالة على كثرة القتل وانتشاره الرهيب في تلك الفترة الحرجة. كل شيء كان ينذر بالموت، كل شيء جثة هامدة، الطريق، الشعاب، الشجر، النهر... وهذا يوحي بعمق المأساة التي عاشها الشاعر في تلك الحقبة.

هذه الآلام والنكبات النفسية دفعت الشاعر للحديث والتفكير في الانتحار*، وجعله طريقاً للخلاص، ما دفع الشاعر للتفكير في الخلاص من واقع القتل والموت. يواصل الشاعر هذا الحوار متسائلاً مع نفسه باحثاً عن مخرج وأفق يضيء في نهاية هذا النفق المظلم والليل الطويل. يتساءل الشاعر قائلاً:

- كَيْفَ أَصْبَ نَفْسِي فِي مَتَاهَةِ

- وَلَا أَهْوَى إِلَى الْمَدَنِ الْقَدِيمَةِ وَالْخَرَابِ؟

- غائم هذا الزمان متى سأبتدئ انتحاري؟⁴¹

الملاحظ أن الشاعر طرح جملة من الأسئلة الفلسفية، والتي لم يرد بها أن يحصل على أجوبة من المتلقين؛ وإنما أراد بواسطتها أن يبين حجم الضياع والقلق النفسي الرهيب، جراء ما كان يحس به من غياب الأفق، وفقدان الأمل في الحياة.

5. خاتمة:

لقد استطاع الشاعر أن يوظف السؤال الفلسفي في شعره، كآلية للكشف عن رؤيته الشعرية الخاصة به من جهة، وكأداة ووسيلة للتعبير عن رؤيته الشعرية، حقق الشاعر من خلالها وظائف جمالية وإقناعية في نفوس المتلقين. وفيما يلي جملة من البنود المتوصل إليها في ختام هذه الورقة البحثية، وهي كالآتي:

حفلت كثير من قصائد الشاعر بالأسئلة الفلسفية التي كان يطرحها، ولم يكن يطلب من جرائها أجوبة من المتلقي، وإنما كان الهدف منها إثارة المتلقي، وجلب اهتمامه، وإقناعه، وتوجيهه لفكرة، أو رأي أو موقف، أراد الشاعر أن يثبتته وأن يوصله، وهي وسيلة وتقنية حدائية.

أخذ السؤال الفلسفي عند علاق عدة أشكال، وطرق موضوعات شتى منها: سؤال البحث عن الذات، وسؤال البحث عن الحقيقة من خلال التأمل في جوهر الأشياء والتعمق في كنهها، وكذلك سؤال اللغة الذي عكس رؤية فلسفية للشاعر إزاء اللغة الشعرية، بالإضافة إلى سؤال الموت، وهو من أهم الأسئلة التي طرحها في قصائده، حيث إنه شكل بؤرة كبيرة في شعره.

وما يمكن تسجيله في هذا الصدد أن السؤال الفلسفي عند الشاعر ارتبط بالخلفية الصوفية التي كان ينطلق منها في بعض قصائده الشعرية، ويتجلى ذلك من خلال تناوله لبعض القضايا الصوفية كعلاقة الجسد بالنفس، والمعراج الروحي، والسعي للوصول إلى

الحقيقة الصوفية (سمو النفس)، بالإضافة إلى استثماره للشخصيات الصوفية مما يؤكد على النزعة الصوفية، وارتباطها بالسؤال الفلسفي عند الشاعر.

السؤال الفلسفي في قصائد الشاعر فتح النص على تأويلات مختلفة، مما يدفع المتلقي إلى قراءات متعددة للوقوف على أبعاد ودلالات النص، وعلى المغزى الحقيقي الذي يريده الشاعر

أما بخصوص اللغة الشعرية التي استخدمها الشاعر فهي لغة تميل إلى التكتيف اللغوي وكثافة التصوير، فهو يسعى دائماً إلى التمرد على الأساليب والأنماط اللغوية المعتادة، ويلجأ إلى البحث عن علاقات لغوية جديدة، ويفجر طاقات جديدة من خلال تجاوز ما هو متداول من الأنماط التعبيرية المألوفة.

6. الهوامش:

- 1- أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، ط6، بيروت، 2005، ص72.
- 2- جهاد فاضل، قضايا الشعر المعاصر، دار الشروق، ط1، بيروت، لبنان، 1984، ص277.
- 3- محيي الدين صبيحي، مطارحات في فن القول، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د.ط)، دمشق، 1978، ص24.
- 4- صلاح عبد الصبور، نبض الفكر، دار المريخ، الرياض، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، الجزائر، 1984، ص85.
- *-مارتن هيدغر: فيلسوف ألماني ولد سنة 1989م، وجه اهتمامه الفلسفي إلى مشكلات الوجود والتقنية والحرية والحقيقة وغيرها من المسائل. ومن أبرز مؤلفاته: الوجود والزمان (1927): دروب موصدة (1950)، توفي سنة 1976م.
- 5 - كرد محمد، الشعر والوجود عند هيدغر، (أطروحة دكتوراه)، إشراف البخاري حمانة، قسم الفلسفة، جامعة وهران، (2011-2012)، ص07، ص(262).
- **- فريدريش هولدرلين: شاعر ألماني، ولد في ألمانيا سنة 1770م، يعد من بين أشهر الشعراء في تاريخ الأدب الألماني. خلف شعرا فلسفيا وجوديا، مات سنة 1843م.
- 6- محيي الدين صبيحي، مطارحات في فن القول، ص48.
- 7- عيسى الأخصري، الرؤيا بين الصوفي والشاعر في التجربة الشعرية المعاصرة، مجلة الخطاب الصوفي، العدد الأول، 2007، ص189.
- 8- عبد الله العثي، أسئلة الشعرية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2009، ص21.
- 9- أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، ط3، بيروت، 1979، ص138.
- 10- فاتح علاق، مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د.ط)، دمشق، 2005، ص127.
- 11- فاتح علاق، مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر، ص124.
- * فاتح علاق: شاعر وناقد وأكاديمي جزائري معاصر، ولد الشاعر فاتح علاق بمدينة تابلط-المدينة-يوم 19 جوان 1958 وفيها درس المرحلة الابتدائية والمتوسطة تحصل على شهادة الليسانس بقسم اللغة العربية سنة 1981، تحصل على دبلوم الدراسات العليا سنة 1982، تحصل على شهادة الماجستير سنة 1987 وحصل على شهادة دكتوراه دولة في نظرية الأدب سنة 2003، سافر إلى عدة بلدان عربية وأجنبية، منها سوريا وفرنسا وتركيا، وهو حاليا أستاذ بجامعة الجزائر-02- كما حصل فاتح علاق على جائزة مفدي زكريا المغاربية سنة 1999. وله أربع مجموعات شعرية، وهي (آيات من كتاب السهو، الجرح والكلمات، الكتابة على الشجر، ما في الجبة غير البحر)، وله مؤلفات نقدية من أهمها (مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر)، هذه الترجمة سلمها لي الشاعر فاتح علاق بالمكتبة المركزية، جامعة الجزائر-02- يوم الأحد 2017/04/09.
- 12- فاتح علاق، الكتابة على الشجر، دار التنوير الجزائر، 2013، ص07.
- 13 - فاتح علاق، الكتابة على الشجر، ص06.

- 14- فاتح علاق، آيات من كتاب السهو، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2003، ص 6-7.
- 15 - فاتح علاق: الكتابة على الشجر، ص 53-54.
- 16 - فاتح علاق: ما في الجبة غير البحر، دار التنوير، ط 1، الجزائر، 2017، ص 10-11.
- 17 - فاتح علاق: الكتابة على الشجر، ص 53-54.
- 18 - فاتح علاق: آيات من كتاب السهو، ص 45.
- 19 - فاتح علاق، آيات من كتاب السهو، ص 05.
- 20- المصدر نفسه: ص 05.
- 21- فاتح علاق، آيات من كتاب السهو، ص 07.
- 22 - فاتح علاق: ما في الجبة غير البحر، ص 09.
- 23 - فاتح علاق: آيات من كتاب السهو، ص 43.
- 24 - فاتح علاق: ما في الجبة غير البحر، ص 08.
- 25 - فاتح علاق، الكتابة على الشجر، ص 55.
- 26 - فاتح علاق: الجرح والكلمات، دار التنوير، 2003م، ص 6.
- * - يبدو أن الشاعر تأثر في فلسفته تجاه اللغة بفلسفة مارتن هيدغر الفيلسوف الألماني، الذي أفصح عنها في مؤلفاته الكثيرة، وبخاصة منها كتابه " الوجود والزمان"، ومن خلال محاضراته ومن بينها " الكلام"، و " السبيل نحو الكلام"، " على الطريق إلى اللغة" وحتى أن الشاعر عنون بعض قصائده بمثل هذه العناوين، فمن قصائده " في البدء كانت الكلمة"، و " عندما تهرم الكلمات"، و " ليس غير الكلمات"، و " من هنا تبدأ لغتي".
- 27 - كرد محمد، الشعر والوجود عند هيدغر، ص 143.
- 28 - المرجع نفسه، ص 144.
- 29 - فاتح علاق: الجرح والكلمات، ص 3.
- 30 - محمد رغميت: حوار مع الشاعر فاتح علاق، المكتبة المركزية، جامعة الجزائر- يوم الأحد 09 أفريل 2017 على الساعة 13.30 بعد الزوال.
- 31 - فاتح علاق: الجرح والكلمات، ص 6.
- 32 - فاتح علاق، الكتابة على الشجر، ص 54.
- 33 - فاتح علاق: ما في الجبة غير البحر، ص 08.
- 34 - فاتح علاق: آيات من كتاب السهو، ص 45.
- 35 - أدونيس: الصوفية والسوريالية، دار الساق، ط 1، بيروت، 1992، ص 107-108.
- 36- أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، ط 3، بيروت، لبنان، 1979، ص 33.
- * -الحلاج (309 هـ - 922 م) الحسين بن منصور الحلاج، أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق. كثرت الوشائيات حوله بسبب مواقفه العقدية وتعمقه في التصوف الفلسفي، وقتل بسبب ذلك ألف العديد من الكتب، منها (طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة النورية). ينظر الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 15، مايو 2002، ج 2، ص 260.

- 37 - قاسم محمد عباس: الأعمال الكاملة للحلاج، مكتبة الإسكندرية، ط1، مصر، 2002، 294.
- 38 - ماجد قاروط: المعذب في الشعر العربي الحديث في سوريا ولبنان من عام "1945 إلى عام 1985"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د.ط)، 1999، ص10.
- 39 - فاتح علاق: آيات من كتاب السهو، ص49.
- 40 - فاتح علاق: آيات من كتاب السهو، ص59-60.
- * ليس المقصود بالانتحار (الانتحار الحقيقي)، وإنما عبر عنه الشاعر بطريقة أدبية. ويذكر أن بعض الشعراء فكر في الموت بالانتحار الحقيقي ومنهم من انتحروا فعلاً مثل: الشاعر عبد الله بوخالفة الذي رمى بنفسه تحت عربات قطار بقسنطينة، سنة 1988، والشاعرة التي كانت تكتب بالفرنسية صفية كتو والشاعر فاروق سميرة الذي رمى بنفسه من أعالي جسر بقسنطينة سنة 1994، ينظر محمد كعوان، سيميائية الشعر الجزائري المعاصر، ص84.
- 41 - فاتح علاق: آيات من كتاب السهو، ص41-42.

*** **